

هل العنصرة يوم ميلاد الكنيسة؟

عن البندكتاري الروسي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

...هذه، إذن، هي أسباب العيد الذي نحتفل به اليوم: مجيء الروح القدس إلى العالم، وإتمام وعد الرب يسوع المسيح، وتحقيق رجاء التلاميذ القديسين. هذا هو العيد الأخير للسّر العظيم وتدبير تجسد الله. في هذا اليوم الأخير والعظيم والخلاصي من عيد العنصرة، رسل المخلص، الذين كانوا صيادين غير متعلمين، تكلموا فجأة بالروح القدس بوضوح وبسلطة إلهية عن العقائد السماوية. لقد أصبحوا دعاةً للحق ومعلمين للعالم كله. في هذا اليوم سيموا وبدأوا رسالتهم، وكان خلاص هؤلاء الثلاثة آلاف نفس في يوم واحد هو الثمرة الأولى البهية الرائعة.

يعتقد البعض خطأً أن عيد العنصرة هو "عيد ميلاد الكنيسة". لكن هذا ليس صحيحًا، لأن تعليم الآباء القديسين هو أن الكنيسة كانت موجودة قبل كل الأشياء الأخرى. في الرؤيا الثانية لراعي هرماس نقرأ: «الآن أيها الإخوة، أعلن لي في نومي من قبل شاب فائق اللياقة، إذ قال لي: من تظن أنها المرأة المسنة التي تسلمت منها الكتاب؟ قلت "العزافة". قال: "أنت مخطئ، فهي ليست كذلك". "من هي إذن؟" قلت له. فقال "الكنيسة". قلت له: "لماذا تشيخ؟" فأجاب: "لأنها خلقت قبل كل شيء؛ لذلك هي شبيخة، ومن أجلها كوّن العالم». يتحدث القديس غريغوريوس اللاهوتي أيضًا عن "كنيسة المسيح ... قبل المسيح و بعد المسيح" (PG 35: 1108-9). يكتب القديس أبيفانيوس القبرصي: "الكنيسة الجامعة، القائمة منذ العصور، تجلّت بأوضح شكل في ظهور المسيح المتجسد" (PG 42:640). يلاحظ القديس يوحنا الدمشقي أن "كنيسة الله، الجامعة المقدسة هي إذن جماعة الآباء القديسين، البطارقة، الأنبياء، الرسل، الإنجيليين، والشهداء الذين كانوا منذ البداية، والذين انضم إليهم كل الذين آمنوا من الأمم باتفاق واحد" (PG 96, 1357c). وبحسب القديس غريغوريوس اللاهوتي، "الأنبياء أنشأوا الكنيسة، وجمعها الرسل، ورثبها الإنجيليون" (PG 35, 589 A). نشأت الكنيسة منذ خلق الملائكة، لأن الملائكة انوجدوا قبل خلق العالم، وكانوا دائمًا أعضاء في الكنيسة. يقول القديس إكليمندوس أسقف روما، في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس، إن الكنيسة "خلقت قبل الشمس والقمر"؛ وبعد ذلك بقليل، "الكنيسة ليست موجودة الآن للمرة الأولى، بل هي كانت من البداية" (٢ كورنثوس ١٤).

ما حدث في يوم الخمسين، إذن، كان سيامة الرسل، وبدء البشارة الرسولية للأمم، وافتتاح كهنوت إسرائيل الجديدة. يقول القديس كيرلس الإسكندري أن "ربنا يسوع المسيح رسم هنا معلمي وملقني العالم ووكلاء أسراره الإلهية... مظهرًا المجد الذي لا يضاهاى للسلطة الممنوحة إلى جانب كرامة

الرسالة... معلناً إياهم لامعين بكرامة الرسل العظيمة وظاهرين كوكلاء وكهنة على حد سواء للمذابح الإلهية... فقد أصبحوا مؤهلين لتلقي الآخريين بإرشاد الروح القدس المنير" (PG 74, 708-712).

يقول القديس غريغوريوس بالاماس: "الآن إذن... نزل الروح القدس... مظهراً التلاميذ كأنوار من فوق... ونعمة الروح الإلهية الموزعة جاءت بسيامة الرسل لخلفائهم" (العضة ١٠، ٢٤). وكتب القديس صفرونيوس أسقف أورشليم "بعد افتقاد المعزي، أصبح الرسل كهنة للعلي" (PG 87, 3981B). لذلك، جنباً إلى جنب مع المعمودية الروح القدس الذي حلّ عليهم حين كانوا في العلية على ما تنبأ بها الرب ويرد في أعمال الرسل "فَسَثَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ، لَيْسَ بَعْدَ هَذِهِ الْأَيَّامِ بِكَثِيرٍ" (أعمال ١: ٥)، عُيِّنَ الرسل ورُقِّعوا إلى رتبة كهنوتية عالية، كما يصف القديس يوحنا الذهبي الفم (21 ، PG 60). في هذا اليوم بدأ الاحتفال بالقداس الإلهي الذي فيه نصح "شركاء في الطبيعة الإلهية" (بطرس الثانية ١: ٤). لأنه قبل العنصرة، قيل عن الرسل والتلاميذ فقط أنهم أقاموا في "الصَّلَاةِ وَالطَّلْبَةِ" (أعمال الرسل ١: ١٤)؛ فقط بعد مجيء الروح القدس صاروا مواظبين على "كسر الخبز"، أي الاشتراك بالأسرار المقدسة "والصَّلَوَاتِ" (أعمال الرسل ٤٢: ٢).

لذلك، عيد العنصرة المقدس حدد بداية كهنوت النعمة وليس بداية الكنيسة. من حينه فصاعداً، أعلن الرسل البشارة "في القرى والمدن"، يكرزون ويعمّدون ويعينون الرعاة، ويمنحون الكهنوت لمن يرون أنهم يستحقون الخدمة، كما يكتب القديس إكليمنديس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (٤٢).